لم يحدث . واقترب القيصر ثلاث مرات من المتروبوليت كما لو أنه يريد ان يتلقى منه المباركة ولكن فيليب لم يعره اي التفات . وعندئذ ارتفعت همهمة من بين أفراد الاوبريتشينا :

« ايهـا الاب المقدس !. إن القيصر إيڤان ڤاسيليڤتش يطلب منك مباركتك » . هكذا صاح واحد من بينهم .

واجاب المتروبوليت وهو يخفض بصره نحـو القيصر ذي القلنسوة السوداء : « ماذا أنت فاعل بنفسك ؟. انت تفسد كل ما هو حسن فيك تحت قناع من القماش . منذ ان بدأت الشمس تضيء في السموات لم يوجد ملك شريف واحد أساء لشعبه كما أسأت . أيها القيصر !. بينما نحن نحتفـل بالضحية المقدس فـوق المذبح تريق انت دم الأبرياء من المسيحيين في كنائس الله . حتى في البلاد الوثنية هنالك قانون وعدالة وتسامح بينما لا يوجد في روسيا شيء من كل ذلك . إن السلب والنهب والاغتصاب والجرائم ترتكب في كل مكان باسمك . ولكن مهما كنت رفيعاً فوق عرشك فإن هناك من هو ارفع منك : قاضينا وقاضيك !. كيف تأمل في القدرة على المثول امام محكمته وسط عاصفة من عويل الضحايا وانت ملطـخ بدم الابرياء ؟. وبما انني راعي النفوس فإنني احذرك : لا تخشَ إلا الله وحده ! » .

ونال الغضب من إيڤان فضرب بلاط الكاتدرائية بعصاه ذات الرأس الحديدي وصاح بصوت غريب : « أيها الراهب ، فليكن الأمر كما قلت . لقد جنبتكم العقاب حتى الآن أيها المتمردون اكثر مما كان يجب ، أما بدءاً من الآن فإنني سأعمل تبعاً للدور الذي أسندته إلي ! » . وخرج من الكاتدرائية بعد هذا التهديد .

في ذلك اليوم نفسه تم توقيف عدد كبير من رجال الدين ووضعوا تحت التعذيب . كما أوقف وقتل عدد من البويار المنتمين الى الزيمشينا ومن بينهم الأمير ڤاسيلي برونسكي . كان القيصر قد وعد بطغيان اكبر ،